التحديات الإقليمية والدولية التي تهددُ أمنَ العراق

مركز العراق للدراسات: محمّد صادق الهاشميّ

المقدّمة :

العراق منذ عام ٢٠٠٣ إلى الآن يعاني من تحدياتٍ كبيرةٍ ، مصدرُها إقليميّ تارة، ودوليّ تارة أخرى ، وهي تهدد أمنَهُ القوميّ في مختلف المجالات، وبالكاد تمكَّنَ العراقُ من أنْ ينهض من تلك الكبواته ، ويتجاوز العقبات ، وينتصر على التحديات ، ولكنّ هذا لا يعني أنّ العراقَ قد أنهى مرحلةَ التحديات ، ودخل في مرحلة الاستقرار النهائيّ ، بحكم العوامل الكثيرة التي منها :

١. موقعه الجغرافيّ .

٢. موقعه الاقتصاديّ .

٣. موقعه الجيبوليتكيّ .

٤. موقعه بين العالم العربيّ ، وغيره كإيران وتركيا.

٥. أنّ المنطقة ما زالت تقف على رمالٍ متحرِّكةٍ ، ومخاضاتٍ عسيرةٍ ، وقد تحصل متغيّراتٌ متعددةٌ .

٦. أنّ نقطةَ حسابات الغرب والمحيط العربيّ والخليجيّ عن مساحةِ تأثّر العراق داخليا بالسياسة الخارجية الإيرانية ، والفكر الأيدولوجيّ .

٧. ما يمتلك العراقُ من موقعٍ استراتيجيّ في العالم العربيّ والإسلاميّ والشرق الأوسط ، فضلا عن وجود القوّات الأجنبية وغيرها .نعم بحكم تلك العواملِ ظلّ العراقُ يشكِّلُ منطقةً تتأثرُ بالخارج وفق ما تقدّم .

وهذا المقالُ هو مختصرٌ لمقالاتٍ متعددةٍ يبحثُ في موضوعٍ مهمّ ، ويجيبُ عن سؤالٍ واضحٍ: ماهي التحدياتُ الإقليمية والدولية التي تؤثّر على الأمن القوميّ العراقيّ في هذه المرحلة الزمنية؟ ويحاول الإجابةَ عن هذه الأسئلة .

التحديات الإقليمية والدولية:

إنّ الجهود البحثية تذهب إلى أنّ التحديات الإقليمية والدولية التي تؤثِّر على الأمن القوميّ العراقيّ الآن ومستقبلا هي :

أوّلاً : الصراع الإسرائيليّ – الفلسطينيّ :

إنّ أبرزَ تحدٍّ في المرحلة الراهنةِ هو الصراع الإسرائيليّ – الفلسطينيّ ، وعدم حسم الحلّ ، وكثرة العُقَد المتزايدة في هذا النزاع وأثره على المنطقة ، فيعتبر أحد الأخطار التي تهدد الأمن القوميّ العراقيّ ، وهنا عدد من التحديات والاحتمالات، وهي :

١. أنْ تتوسَّع الحربُ في المنطقة .

٢. أنْ تقومَ إسرائيل بعملٍ عسكريٍّ انتقاميّ حال اقترابها من الهزيمة ؛ لتعوّضَ انكسارها ، ممّا يجعل المنطقة أمام تحدٍ كبيرٍ .

٣. أنْ تقومَ إسرائيل باستهدافِ لبنان ، أو شخصية القائد السيّد حسن نصر الله .

٤. احتمال أنْ تقوم إسرائيل بعملياتٍ في الداخل العراقيّ والإيرانيّ .

٥. أنْ يحصل متغيِّرٌ بالموقف الدوليّ من القضية الفلسطينية لصالح إسرائيل .

ثانياً: دخول الوجود الشيعيّ في الصراع:

إنّ هناك صراعاً وجوديّاً بين الكيان الغاصب وبين المحور المقاوم، وبما أنّ هذا المحور هو المحورُ الشيعيّ فإنّ أيّ هزيمةٍ أو انتصارٍ في الصراع القائم بين الكيان الغاصب والفلسطينيين يحسب نتائجه وفق المنطق الأمريكيّ، وبعض دول الخليج ربحاً وخسارةً في الواقع الشيعيّ في المنطقة .

وهذه حسابات ليست وهميَّةً ، بل هناك دول لا تنظر إلى الصراع إلّا من هذه الزاوية ، ومن هنا نجدُ أنّ الموقف العربيّ إمّا محايدٌ أو منحازٌ إلى الكيان الغاصب.

وهذه القناعة تلقي بظلالها على مستقبل الصراع بين الكيان الصهيونيّ وحماس بما يجعل المنطقةَ ساخنةً وخاضعةً لمؤثِّراتٍ عديدةٍ ، وتخضع لرؤى متعددةٍ إقليميَّاً ودوليَّاً، فهناك توقّعاتٌ كبيرةٌ أنْ تحصل اتفاقاتٌ سرِّيةٌ بين دول الخليج بعضاً أو كُلّاً لمنع انتهاء الحرب ، أو القضاء على حماس ، أو بناء تكتّل دوليّ خليجيّ مقدّمته مشروع التطبيع مع السعودية ، ولا شكّ في أنّ العراق جزءٌ من المنطقة ، ويتأثّر بها ، وبأيّ قرارٍ وسيناريو سيُتّخذ.

ثالثا: تطوّرات القدرة العسكرية لدى المقاومة :

لكي نقرّبُ الحقيقة ، فإنّ العالم يتساءل: هل استعملت جماعة أنصار الله في اليمن (الحوثيون) صاروخا فرط صوتي « **حاتم ٢** » لضرب سفينة إسرائيلية في بحر العرب؟

إنّه السؤال المحيّر في الأوساط العسكرية الغربية والإقليمية ، وفي حالة تأكيد هذا المعطى، سيفسر الكثير من القرارات ، ومنها تريث البنتاغون بعدم إرسال حاملة طائرات إلى البحر الأحمر في الوقت الراهن.

وقبل نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، لم يكن أحدٌ يتكهَّنُ بمشاركة القوّات الحوثية بشكل مباشر في الحرب ضدّ إسرائيل، إذ بدأت المرحلة الأولى باستهداف السفن الإسرائيلية التي تمرّ من باب المندب، ثمّ في المرحلة الثانية كلّ السفن التي تقصد إسرائيل، وأخيراً استهداف السفن العسكرية الغربية ، في الوقت ذاته قام الحوثيون بتوجيه ضربات إلى الموانئ الإسرائيلية.

لقد فرض الحوثيون معادلةً جديدةً ، وهو ما دفع الغرب الى إنشاء عمليتين عسكريتين لحماية الملاحة الدولية، الأمريكية بعنوان « **حارس الرفاهية** » ، والأوروبية «**أسبيديس** »، لكنّ الملاحة الدولية عبر باب المندب تقلّصت بشكلٍ كبيرٍ للغاية.

لا أحد يجادل الآن في استعمال الحوثيين صواريخ باليستية متطوّرة ، وطائرات مسيّرة تضرب أهدافاً إسرائيليةً، غير أنّ الرقابة العسكرية التي يفرضها الجيش الإسرائيليّ تحول دون معرفة الحقيقة، أي نوعية وحجم الخسائر، لكنّ التطوّر الخطير على مسارات القوّة والحرب من منظور أمريكا هو ما صدر عن الحوثيين باستعمال صاروخ (فرط صوتي) في ضرب السفينة الإسرائيلية (MSC SARAH V) في عرض بحر العرب وإذا صح الخبر، فهو يعني:

أوّلاً : حسب التقارير الامريكية نجاح إيران في مدِّ الحوثيين بصواريخ فرط صوتية، أو مساعدتهم في تطويرها لضرب سفن وأهداف في إسرائيل، إذ أنّ امتلاك الحوثيين – سواء أكانت من ايران أم أنّهم تمكّنوا من تطوير قدراتهم الصاروخية المتبقية لديهم ، أم أنّ جهات أخرى مثل روسيا وغيرها زوّدتهم بها في كلّ الاحوال – يُعَدُّ تطوّراً جديداً في المنطقة ، دخل في حسابات ومعادلات القوّة العسكرية ، له حساباته في مستقبل المنطقة ، وعلى العراق تحديد موقفه ومعرفة طريقه .

ثانيا: هذه هي المرة الثالثة التي تستعمل فيها دولةٌ صواريخَ من هذا النوع، وكانت الأولى عندما ضربت روسيا أوكرانيا بهذا النوع من الصواريخ سنة ٢٠٢٢، والثانية عندما قصفت إيران منشآت عسكرية إسرائيلية يوم ١٤ أبريل/ نيسان الماضي، والمرة الثالثة يوم ٢٥ يونيو.

يعتبر امتلاك القوات الحوثية صواريخ فرط صوتية منعطفاً كبيراً في خريطة التسلّح في الخليج ، تلك المنطقة التي تشكّل حجر الزاوية في الاقتصاد العالميّ؛ لأنّ هذا النوع من الصواريخ تعجز حتى الدول ذات التاريخ في الصناعة العسكرية عن إنتاجه ، كما تمتلك دول قليلة جدّاً لا تتعدى الخمس أو الست هذا النوع من الصواريخ، وتعتبر روسيا في الطليعة. ويتجلّى خطر هذا الصاروخ في سرعته الفائقة جدّاً حيث لا تستطيع غالبية أنظمة الدفاع الجوي اعتراضه.

وكان الإعلام الإسرائيليّ ومنه قناة [إي ٢٤ نيوز] قد تساءل خلال مارس/ آذار الماضي عن فرضية امتلاك الحوثيين صواريخ فرط صوتية ، وكيف سيزيد هذا من القلق على الملاحة الدولية ، كما أنّ فرضية توفّر هذا النوع من الصواريخ لدى الحوثيين قد يكون دفع البنتاغون إلى جعل البحر الأحمر بدون حاملة طائرات بعد انسحاب إيزنهاور والاكتفاء بالسفن التي لديها نظام [الدرع الصاروخي] ، وهي القادرة نسبيا على اعتراض هذا النوع من الصواريخ. وكان لدى البنتاغون حاملتا طائرات ما بين نوفمبر الى غاية فبراير الماضي في الشرق الأوسط، والآن لا يوجد أي منها رغم فرضية احتمال نشوب حرب بين إسرائيل وحزب الله.

التقارير الاسرائيلية تذهب إلى : « إذا صحّ استخدام الحوثيين لهذه الصواريخ فهذا سيمنحهم قوّة حقيقية في مراقبة الملاحة في باب المندب ، والتحكّم فيها » .

نعم أمام هذه التطوّرات فانّ العراق عليه أنْ يدرس بعمقٍ مستقبله الأمني ويحدد تحالفه الاستراتيجيّ ، ويدرك أنه أمام متغيّرات تؤثّر على أمنه القوميّ

رابعاً : تطوّرات الأوضاع في الخليج والبحر الأحمر ومضيق هرمز:

هذه الأحداث كلّها تُنذرُ بكوارثَ تتجه لها المنطقة مالم يتمَّ ردع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لأنّهما قد تعملان على تسخين المنطقة أكثر ؛ لإيجاد فرص لها في قلب الطاولة على المقاومة ومحور القوَّة الصَّاعدة ، أي ما زالت الحربُ قائمةً ، فإنّ حربَ المضائق والمنافذ التجاريّة هي الأخرى قد تجرُّ الصراعَ إلى بؤرٍ أكثر تعقيداً ، فإنّ الحسابات الأمريكيّة تجاوزت موقف الصراع بين حماس والكيان إلى أنّ تدرس حجم المقاومة والتطوّر التسليحيّ بعد (الوعد الصَّادق) ، وبعد استهداف المقاومةِ اليمنيّةِ البوارجَ الأمريكيّةَ وغيرها ، وبعد موقف المقاومة العراقية و اليمنية الموحَّد .

كُلُّ هذه التطوّرات جعلت أمريكا تؤمنُ بفكرةِ أنّ أمنها في المنطقةِ ضعيفٌ ، وقد تتجه الحكومة الأمريكية اللاحقة إلى موقفٍ متشددٍ خصوصاً أنّ الانتخابات الأمريكية على الأبواب .

خامساً: تحدي أسعار الطاقة :

ومن أبرز التحديات أيضا هبوط أسعار النفط والطاقة ، وتأثّرها بحركة التنافس والصراع على الطاقة والسعي الإقليميّ للسيطرة على منافذ حركة التجارة عالميَّاً والطاقة بشكلٍ خاصٍّ .

وهذا السيناريو يمكن أنْ تلجأ له أمريكا في وقتٍ لاحقٍ ، وهو مؤثّرٌ سلبيٌّ على الاقتصاد الريعيّ العراقيّ ، وحال تمّ تدفقُ كمِّياتٍ كبيرةٍ من النفط الخليجيّ ، أو الاتفاق على هبوط الأسعار ، فإنّ العراق سيعيش أزمةً اقتصاديّةً قويَّةً .

سادساً: تحدي التطبيع :

إنّ موضوع التطبيع بين الكيان الصهيونيّ والسعودية وآثاره في رسم خريطة علاقاتٍ اقتصاديَّةٍ واجتماعيَّةٍ وأمنيَّةٍ في المنطقة يجعل العراق أمام خياراتٍ إقليميّةٍ ودوليَّة معقَّدةٍ .

وحال انضمام دول الخليج إلى التحالف القادم فإنّ العراق سيعيشُ في محيطٍ جيبوليتكيّ معقَّدٍ جدّاً ، وهذا ينعكس على الداخل العراقيّ ما لم يوحِّدْ رؤيته ، ويحدد اتجاهاته وتحالفاته ، وقد يجد نفسه بوضع خارج إرادته . .

سابعاً : امتلاك السعوديّةِ المفاعلات النووية:

إنّ سعي السعودية لامتلاك مفاعلات نووية كأحدِ شروطها على أمريكا مقابل التطبيع مع الكيان الغاصب يُعَدُّ خطراً على مستقبل المنطقة والأمن في العراق ، وقد يُوجد هذا التوجُّهُ تحدياتٍ جديدةٍ تمسُّ أمن المنطقة ، ومنها إيران ، وقد تتخذُ المحاورُ المُقَاوِمَة أفعالاً لمنع السعودية من التطبيع ؛ كونه يهددُ أمنها القوميّ ، ممّا يجعل العراق أمام واقعٍ مُعقَّدٍ.

ثامناً : السعيّ الأمريكيّ إلى تعميق الخلاف بين إيران ومحيطها العربيّ:

إنّ هذه المخططات لها آثارها وتداعياتها على العراق فمنذ حكم صدام كانت أمريكا تدفع بالعراق زمن صدام وهكذا الخليج إلى أنْ تكوّن حصوناً صادّةً لإيران، إلّا أنّ إيران خرجت من الحرب الإيرانية العراقية بقوّة ، وخرجت من الحرب

السورية الداخلية بقوّة ، وهكذا في لبنان ، وتمكّنت من تغيير بنية القوّة في اليمن ، مع أنّ إيران جادّة في احتواء ازمات المنطقة ، ومنع التصعيد الذي يستفيد منه الكيان الغاصب ، والذي هو أحد مخططات إسرائيل في الخروج من أزمتها بعد طوفان الأقصى ، إلّا أنّ هناك مشاريع جادّة من أمريكا لإكمال طوق خليجيّ ضدّ إيران من خلال توقيع اتفاقيات « التطبيع » ، وما يترتّب عليه من آثار اقتصادية وأمنية .

تاسعاً : التشكيلات المعارضة في المنطقة تؤثّر على الأمن العراقيّ :

العراق يتعرّض إلى تحديات من نوع آخر مصدره الخارج ، ويتجلّى بوجود تشكيلات عسكرية معارضة لإيران وتركيا وسوريا ، ومنها مثلا (البي كي كي) ، فإنّ وجود العناصر المعارضة لتركيا ولإيران في الإقليم يعرّض الأمن العراقيّ الداخليّ والقوميّ إلى الكثير من التحديات ، ويمهّد إلى التدخّلات الخارجية ، وجعل الأمن في العراق بوضع غير مستقرّ .

ولا ننسى أنّ هناك مشروعاً (أمريكيّاً – كرديّاً) في المنطقة يهدفُ إلى إقامة كيانات كردية ،وحكم ذاتيّ ، وتوجّه نحو الانفصال أو الفيدراليات في العراق وسوريا وتركيا والجمهورية الاسلامية الايرانية ، ممّا يكون له آثاره على أمن ووحدة ومستقبل المنطقة، وينعكس على الأمن في العراق ، علماً أنّ كُلّ هذه التشكيلات مرتبطة بالغرب وأمريكا ، وهي أذرع أمريكية ، لإيكال مهمّة الحرب لها بالوكالة حسب الحاجة، ولإذكاء الفتن الإثنية والقومية في المنطقة وهكذا وجود داعش .

عاشراً : الوجود الأمريكي في العراق :

إنّ من المحتمل أنْ يحصل انسحابٌ أمريكيٌّ من العراق بشكلٍ فوضويّ غير المدروس، كما حصل في أفغانستان ، وأمريكا لا تخرج إلّا أن تخرّب وتترك الأرض محروقةً على النحو التالي :

١ . الأمن الاقتصاديّ .

٢ . أمن الأجواء العراقيّة .

٣. التسليح العراقيّ .

٤ . التهديد الداعشيّ .

٥ . تفكك المنطقة .

٦. صراع المكوّنات .

٧. قد يتعرّض الأمن الغذائيّ في العراق إلى أزمات بسبب الجفاف ونقص المياه .

٨. المياه .

٩. الأمن الاجتماعيّ .

الحادي عشر: موقع الصّدارة :

إنّ التنافس الحادّ بين الدول العربية والإسلامية لاحتلال موقع الصدارة في النظام الدوليّ الجديد له آثاره على العراق .

ومن المعلوم أنّ الدول الخليجية توسَّعتْ تحالفاتها واتفاقاتها ؛ لتحرز وجودها في النظام الدوليّ الجديد ممّا يجعل هذا التنافس باباً لفتح التنافس الدوليّ الاقتصاديّ والتجاريّ والسياسيّ وحتّى الأمنيّ ، ومحلُّ التنافس في الطاقة أمرٌ واضحٌ جدّا لمن يراجع تحالفات المنطقة والخليج ووقوعها تحت التنافسات الدولية في العقد الأخير، وعلى هذا فالعراق واقع في المنطقة الساخنة والمنطقة المتحوّلة والمتموجة ومنطقة التجاذب الدوليّ ؛ لذا نجد هناك مساعياً لدى العراق والسعوديَّة والامارات وقطر لأخذ مواقع مهمَّة إقليمياً ودولياً من خلال أخذ مساحة في الاقتصاد والمنافذ التجارية يمكن أنْ يجعل العراق في منطقةٍ متأزمةٍ ، سيما أنّ الخليجَ مقبلٌ على خلافات حادّةٍ ، وأنّ السعودية تتجه إلى موقعٍ أكبر من مساحتها الحاليَّة كي تتبوأ مكانةً تجعل باقي الدول الخليجية تابعةً لها .

الثاني عشر : الخلافات الأيديولوجية بين محور المقاومة ومحور التطبيع :

إنّ الخلافات الأيديولوجية والوجودية بين محور المقاومة ومحور التطبيع في مساحة الشرق الأوسط تعزز من تأثيراتٍ سلبيةٍ على العراق مستقبلاً مالم يحددِ العراق موقعه وانتماءَه الحاسم ، فالمنطقة فيها ثلاثة مشاريع ، والعراق لابدّ أنْ يحدد توجّهه منها، ويحدد موقعه فيها ، وهي :

١. المشروع الأمريكيّ الأوربيّ .

٢. مشروع المقاومة الإسلاميّة .

٣. مشروع الصين وروسيا .

وهنا تنشطرُ المنطقةُ (سنّياً وشيعياً وكردياً) بين مَنْ :

(أ). يتجه إلى الغرب ، وهي الدول الخليجية .

(ب) . يتجه إلى المنطقة ، وهو مشروع الجمهورية الاسلامية الإيرانية التي تريد أنْ تبني علاقاتٍ في المنطقة تجعلها في غنى عن التدخّل الخارجيّ .

(ج). يتجه إلى الصين وروسيا ، وهي سوريا .

(د). وبين مَنْ يراوح بينها ، ويقيم علاقاتٍ مع الطرفين ، وهو ما تمارسه الحكومة العراقية بقدرٍ مّا ، لكنّ صمود العراق في مساره يحتاج إلى رؤية داخلية موحَّدة ، وقوّة في القرار ، وانسجام في المواقف .

الثالث عشر : الصراع الروسي الأُوكراني :

إنّ أحد أهمّ التحديات الدولية المؤثّرة في الأمن القوميّ العراقيّ هو الصراع الروسيّ مع الجانب و الأوربيّ الأمريكيّ ، ومن جانب آخر في المساحة الجغرافية من بقايا أحلاف النظام السياسيّ القديم ، وفي أوكرانيا وأوربا الشرقية وما يتبعه من تأثيرات وحروب اقتصادية بين المحاور الدولية وما له تأثيرات واتفاقات بين الأقطاب والمحاور ، وهذا يخلق تأثيراتٍ في المال والطاقة والسلاح والنفوذ ، وهذه كلّها عوامل تؤثّر في مستقبل الأمن القوميّ العراقيّ .

وهكذا المشاريع الصينية والروسية بنحو عامّ ، قد تصطدم مصالحها في المنطقة وعبر العراق ، وقد تعطَّل مشاريعه التنموية ومنها « **طريق التنمية** » .

الرابع عشر : مخرجات طوفان الأقصى :

ومن أبرز التحديات في حال حسم معركة (**طوفان الأقصى**) لصالح إسرائيل فإن المنطقة العربيَّة والإسلاميَّة وعموم الشرق وبنحو خاصّ الجزيرة والهلال الخصيب ستكون خاضعة إلى ضغطٍ إسرائيليٍّ جديدٍ وسيناريوهات أخرى قد تكون في الجانب الاقتصاديّ وغيره .

النتيجة :

من هنا يحتاج العراق إلى مراجعات تتكفّلها القيادات الكبرى ، وتحدد على ضوئها مستقبل العراق وخياراته ومصالحه وعلاقاته الدولية والإقليمية ، وترصين وضعه الداخليّ بما يمكّنه من تجاوز التحديات ، ويحدد مساره الصحيح ، ويغلق نوافذ المشاريع القسرية ، ويحصّن العراق من خطر الانقسامات ، وأنْ يضع العراق رؤية اقتصادية شاملة .

كُتِبَ ٢٨ / ٦ / ٢٠٢٤ م